مجلّة انـــتـحـــــــاء

Intihaa Journal

A vailable online at: intihaa@ens-ouargla.dz

ISSN :2992-1546المجلد (02) العدد(01)(2025): رقم صفحة البداية 68– رقم نهاية الصفحة88

أدب الجوائح في رواية "إيبولا 76" لـ "أمير تاج السر"

Pandemic Literature in novel "Ebola76" by Amir Tadj Essir

أ.د آية الله عاشوري

ayetallah.achouri@univ-bejaia.dz

جامعة عبد الرحمان ميرة- بجاية- الجزائر

تاريخ الاستلام2025/02/12 تاريخ القبول:2025/03/15 تاريخ النشر: 2025/04/30

ملخص:

تناولت الرواية عديد المواضيع، ورصدت مختلف القضايا في أحسن عرض وأبلغ تصوير، ومن تلك المواضيع موضوع "الأوبئة"، إذ أسالت حبر أقلام روائية أنتجت إبداعات تولدت من رحم الأزمات الصحية التي هزت العالم على مر الحقب، خاصة تلك الأوبئة التي أرّقت الخاصة قبل العامة من الناس، ناقلة الأوضاع المتدهورة، وواصفة لواقع المجتمعات التي عانت المآسي والمخاوف، وعاشت ظلمة أرخت سدولها على حاضرهم التعيس الذي يقودهم إلى مستقبل غامض، لتتوارى الآمال والمتطلعات خلف الآلام والمعاناة، يترصدهم الموت من كل جانب.

تناولت رواية "إيبولا76" وباء إيبولا الفتاك الذي حصد عديد الأرواح، وخلف المآسي والرعب بين الأهالي سنة 1976م، لتكون الكونغو والسودان مسرحا صال الفيروس وجال في رحابه.

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية تجلية أدب الجوائح وكشف تمظهراته من خلال قراءتنا في رواية "إيبولا76" لـ "أمير تاج السر".

الكلمات المفتاحية: الرواية، أدب الجوائح، الوباء، الصحة، الموت .

Abstract:

The novel "*Ebola 76"* addresses a range of themes and presents various issues with striking clarity and vivid imagery. Among these is the theme of *epidemics*, which has long inspired the pens of novelists and generated creative works born from the depths of health crises that have shaken the world throughout history. These pandemics, especially those that have unsettled both the elite and the general public, are portrayed in literature as forces that expose deteriorating conditions, depict the harsh realities of suffering societies, and reflect the darkness that casts its shadow over their bleak present and uncertain future. In such narratives, hope and aspirations fade behind pain and anguish, as death lurks on all sides.

Ebola '76 narrates the outbreak of the deadly Ebola virus that claimed many lives and spread fear and tragedy among communities in 1976. The novel situates the Congo and Sudan as the main stages upon which the virus rampaged and spread its devastation.

This research paper seeks to explore the nature of *pandemic literature* and to identify its manifestations through a focused reading of *Ebola '76* by Amir Tag Elsir.

Keywords: Novel, Pandemic Literature, Epidemic, Health, Death

1. مقدمة

أدب الجائحة هو نوع أدبي يتناول تأثيرات الأوبئة العالمية (أو الجائحات) على الأفراد والمجتمعات، إذ يصور أحوالهم النفسية والاجتماعية تجاه المرض، ويرصد التحولات العميقة في الحياة الإنسانية، سواء من حيث العلاقات بين الناس أو رؤيتهم للعالم، كما يستعرض مشاعر الخوف، العزلة، القلق والأمل، بالإضافة إلى التحديات النفسية، الاجتماعية والاقتصادية التي تحدث أثناء الجائحات.

من تلك الجائحات التي أثقلت كاهل الأفراد كما الجماعات جائحة إيبولا ذلك المرض الفيروسي الخطير الذي يؤثر بشكل رئيسي على الإنسان وبعض الحيوانات مثل القرود والشمبانزي، ويعتبر من الأمراض الفتاكة التي تملك معدل وفيات مرتفعة للغاية.

من الأقلام الإبداعية الروائية التي تناولت هذا الوباء الكاتب السوداني أمير تاج السر في روايته "إيبولا 76" والتي حاول من خلالها مرافقة عامل النسيج السوداني "لويس

نوا" في رحلته مع وباء إيبولا القاتل، بين مناطق عديدة من جمهورية الكونغو كينشاسا، ومنطقة أنزارا الحدودية، في جنوب السودان عام 1976م.

2. أدب الوباء:

عالم الأدب عامة والرواية منه خاصة فضاء شاسع ومجال واسع يخطّ من خلاله المبدع خلجات أفكاره، ويبدي مضمرات تفكيره، ويرسم آماله وآلامه، ويصور أحوال المجتمع إذ يرافقهم حال السراء والضراء، ولمّا كانت النوازل والجوائح من جملة اهتمامات العامة والخاصة من الناس، لما لها من آثار اجتماعية ونفسية ... أولى لها الأدب اهتماما، وتناولها من مختلف الجوانب، «يُعرَّف الأدب غالباً بأنّه ضرب من ضروب الفنّ الإبداعيّ، ابتكره الإنسان ليُعبِّر عمّا يدور في نفسه من خلجات إزاء الجمال والعاطفة والخيال. ويُعرَّف الوباء بأنّه حزنٌ وسُقمٌ ومرضٌ يتعلّق بقلب الإنسان وكينونته. فأين تكمُن علاقة الأدب بالوباء؟

تنطلق العلاقة بين الأعمال الأدبية بالمُجمَل وبين الأوبئة التي شهدتها البشرية، من كون أنّ الأدب في حقيقته تعبير عن حركة الحياة في مختلف الأوقات سواء في الماضي والحاضر والمستقبل.»[1]

إن الأدب الذي يتخذ من الوباء موضوعا له يحوز مميزات خاصة به، وسمات تميزه عن بقية الأعمال الإبداعية الأخرى، ليكون الواصف للأحوال والموثق للأحداث، والمتنفس لمن أصابه الخوف فاضطربت نفسه، حينها تهوي إليه الناس لما يحتويه من متعة وتشويق، يقول إلياس خوري: «هل هناك فعلا، أدب خاص ب"تيمة" الأوبئة؟، وإذا ما وجد، فهل هو أدب يوثق لها؟ أم هو يأخذها مُجرّد خلفية، تُساعده، على تقديم أفكاره بشكلٍ فنيّ، وجماليّ؟. الحقيقة، مع الانتشار السريع لوباء "الكورونا"، في العالم كله، أصبح عند الناس، الشغوفين بالقراءة، خاصة، فضول لقراءة الأعمال الأدبية، العربية والعالمية، التي تناولت، "تيمة" الأوبئة.. القائمة طويلة للأعمال التي تناولت "تيمة" الأوبئة، لكن نذكر منها، فقط، روايات، مثل: "العمى"، لـ"جوزيه ساراماجو"، و"الحب في زمن الكوليرا" لـ"غابرييل غارسيا ماركيز"، الحائز على جائزة نوبل، و"الطاعون" لـ"ألبير كامو".»[2]

أدب الوباء في القرن التاسع عشر والعشرين والواحد والعشرين أو أدب الرعب كما سمي في الآداب العالمية، يقصد به كل إنتاج إبداعي جادت به قرائح أدباء أو شعراء أو بلغاء اتخذوا من الأوبئة تيمات نسجوا حولها نصوصهم، تقول علا شحود: «وهذا ما يجعل القارئ للأدب العالميّ يُلاحظ ظاهرة سُمّيت بـ "أدب الرّعب"، الذي توحي به روايات ستيفن

كينغ مثلاً، وصولاً إلى روايات تنصر القوى الإنسانية وتعمل على إنشاء عالمٍ مليء بالعدالة والسلام والمحبّة كرواية "العمى" لجوزيه ساراماغو.

وإذا قرأنا أدب القرن التاسع عشر والعشرين والواحد والعشرين، نلاحظ ظاهرة سُمّيت "أدب الوباء"، ويرجع هذا عمليّاً إلى تفشّي عددٍ من الأوبئة على مرّ العصور وأثرها في السّرد الغربي، وكان من الطبيعي أن ينعكس هذا على الأدب، كما على شتّى مجالات الحياة الإنسانية. فالأدب فنّ يعكس صورة حياة الناس في المجتمع، فلهذا نجد الأمراض تستفزّ إبداع الكاتب ليوظّفها في أدبه.

وكما أنّ الأوبئة تسبَّبت بتحوّلاتٍ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ وثقافيةٍ على حياة الفرد بشكلٍ خاص والمجتمع بشكلٍ عام، وأكبر مثال على الواقع الحيّ لتأثير الوباء على المنطقة العربية عندما تفشّى الطاعون في بلاد الشام خلال العصر الأمويّ ممتدّاً إلى العراق ومصر وشمال أفريقيا، وهكذا لعب الطاعون دوراً أساسياً آنذاك في سقوط الدولة الأمويّة وُفق ما ذُكِر في كتاب (الطاعون في العصر الأموي) لأحمد العدوي".»[3]

تؤثر الأوبئة سلبا على حياة الناس، وتحدث الهلع مما يهز استقرارهم ويغير سلوكياتهم وطبائعهم وفق ما يمليه عليهم الوضع، ويفرضه الواقع، حينها يستخذ الأديب من تلك الوقائع خيوطا ينسج بها نصوصه التي تتراوح بين الواقع والمتخيل، مزاوجا في ذلك بين حاضر مرير ومستقبل مأمول، يقول إلياس خوري: «فالأدب يقوم بقذف الكوارث إلى مستوى الكناية من جهة، كما يقوم من جهة ثانية بإبداع حالات تتفوق على الواقع أو توازيه، من الإنسان الحشرة في قصة "المسخ" لكافكا، إلى الوباء الأبيض الذي اخترعه ساراماغو في رواية "العمى".

ومثلما كشفت الأوبئة هشاشة الإنسان الذي لا يملك في مواجهة المأساة سوى سلاح الحب، كما في رواية "اليوم السادس"، فإن الأشكال الأدبية المتنوعة تكشف ثغرات النص الأدبي، وتسمح لنا بأن نتلمس الصراع بين الأيديولوجيات المسيطرة وبين البعد الروحي للأدب الذي يتجلى في كون كل عمل أدبي إعادة كتابة لأدب سبقه، أو هو شكل من أشكال تقمصه وسط تقلبات الأزمنة.»[4]

3. الإيبولا .. الوباء القاتل:

1.3 ماهيته:

مرض فيروس الإيبولا، الذي كان يُعرف سابقاً باسم حمى الإيبولا النزفية، هو مرض وخيم، بل مميت في كثير من الأحيان، يصيب البشر والثدييات العليا (الرئيسيات) الأخرى.

وينتقل الفيروس إلى البشر من الحيوانات البرية (مثل خفاش الفاكهة والظربان والثدييات العليا غير البشرية) ثم ينتشر في أوساط السكان عن طريق الملامسة المباشرة للدم أو الإفرازات أو الأعضاء أو السوائل الجسدية الأخرى للأشخاص المصابين بالعدوى، أو الأسطح والمواد الملوثة بتلك السوائل (كالشراشف والملابس).

ويبلغ معدل إماتة حالات الإصابة بمرض فيروس الإيبولا نسبة 50% تقريباً في المتوسط، ولكن هذا المعدل تراوح بين نسبتي 25% و90% في الفاشيات التي اندلعت في الماضي.

وقد حدثت أول عشر فاشيات لمرض فيروس الإيبولا في قرى نائية وسط أفريقيا، قرب الغابات المطيرة الاستوائية .

كانت فاشية الإيبولا التي شهدها غرب أفريقيا في الفترة 2014-2016 أكبر فاشية للإيبولا وأكثرها تعقيداً منذ اكتشاف الفيروس لأول مرة في عام 1976. فقد أدّت تلك الفاشية إلى عدد من الحالات والوفيات فاقت فاشيات المرض السابقة مجتمعةً. كما تفشت بين البلدان، بدءاً من غينيا ووصولاً إلى الحدود البرية لسيراليون وليبيريا.

يُعتقد أن خفافيش الفاكهة من الفصيلة بتيروبوديداي هي المضيف الطبيعي لفيروس الإيبولا.[5]

2.3 أعراض المرض وعلاماته:

تتراوح فترة حضانة المرض، أي تلك الممتدة من لحظة الإصابة بعدواه إلى بداية ظهور أعراضه، بين يومين اثنين و21 يوماً.

ولا ينقل الإنسان عدوى المرض حتى يبدي أعراضه، التي تتمثل أولاها في الإصابة فجأة بحمى موهنة وآلام في العضلات وصداع والتهاب في الحلق، يتبعها تقيؤ وإسهال وظهور طفح جلدي واختلال في وظائف الكلى والكبد، والإصابة في بعض الحالات بنزيف داخلي وخارجي على حد سواء (مثل نزيز الدم من اللثة وخروج الدم في البراز). وتظهر النتائج المختبرية انخفاضاً في عدد الكريات البيضاء والصفائح الدموية وارتفاعاً في معدلات إفراز الكبد للأنزيمات.

قد يكون من الصعب تمييز مرض فيروس الإيبولا سريرياً عن أمراض أخرى معدية، مثل الملاريا وحمى التيفود والتهاب السحايا. لذلك تم تطوير مجموعة من الاختبارات التشخيصية لتأكيد وجود الفيروس.[6]

3.3 علاج المرض وسبل الوقاية منه:

لا يوجد علاج مثبت الفعالية للإيبولا، ولكن القيام ببعض التدخلات البسيطة مبكراً قد يحسّن إلى حد كبير فرص النجاة. وتشمل هذه التدخلات تعويض سوائل وأملاح الجسم (فموياً أو وريدياً) وعلاج أعراض محددة، مثل انخفاض ضغط الدم والقيء والإسهال والالتهابات .

ويجري حالياً تقييم طيف من العلاجات المحتملة، من بينها منتجات الدم، والمعالجة المناعية وعلاجات دوائية.

وتعدّ النظافة الصحية لليدين أكثر الوسائل فعالية في الوقاية من انتشار فيروس الإيبولا.

وقد أثبت لقاح تجريبي ضد الإيبولا، يُعرف باسمrVSV-ZEBOV ، فعالية شديدة في الحماية من الفيروس المميت في إطار تجربة واسعة النطاق أجريت في غينيا عام 2015.

وفي الاستجابة للفاشية الحالية في جمهورية الكونغو الديمقراطية، يجري تطبيق بروتوكول التطعيم الدائري، أي تطعيم الأشخاص المحيطين بالمريض المصاب بالعدوى.

وعندما تندلع فاشية المرض في مكان ما، يستخدم شركاء الصحة حزمة من التدخلات تشمل إدارة الحالات والترصد وتتبع المخالطين والفحوص المختبرية وطرق الدفن المأمونة والمشاركة المجتمعية.

ويعدّ العمل مع المجتمعات المحلية للحد من عوامل خطر انتقال الإيبولا عنصراً فائق الأهمية في السيطرة على فاشياته.[7]

وينبغي أن تركز الرسائل الرامية إلى الحد من المخاطر على عدة عوامل تتمثل فيما يلي:

- الحد من مخاطر انتقال العدوى من الحيوانات البرية إلى البشر.
- الحد من مخاطر انتقال العدوى من إنسان إلى آخر.
- تدابير احتواء الفاشيات، بما في ذلك الدفن المأمون والكريم للموتى.
- الحد من مخاطر احتمال انتقال العدوى عن طريق الاتصال الجنسي.
- الحد من مخاطر انتقال العدوى من السوائل والأنسجة المرتبطة بالحمل.

وينبغي دوماً أن يتخذ العاملون في الرعاية الصحية احتياطات نموذجية عند رعاية المرضى، بصرف النظر عن التشخيص المفترض لحالة كل منهم. وتشمل هذه الاحتياطات الحفاظ على نظافة اليدين الأساسية، والنظافة الصحية التنفسية، واستخدام لوازم

الحماية الشخصية (لمنع نفاذ الرذاذ أو أشكال الاتصال الأخرى بالمواد الملوَّثة بالعدوى)، ومأمونية ممارسات الحقن، وممارسات الدفن المأمونة.

وينبغي للعاملين في مجال الرعاية الصحية الذين يعتنون بالمرضى المشتبه في إصابتهم بمرض فيروس الإيبولا، أو تأكدت إصابتهم به أن يتبعوا تدابير إضافية لمكافحة العدوى من أجل تجنب لمس دم المريض و/أو سوائل جسمه والأسطح أو المواد الملوثة مثل الملابس وأغطية الأسرّة.

والعاملون في المختبرات معرضون أيضاً لخطر الإصابة بالعدوى. وينبغي أن يتولى موظفون مدرّبون عملية مناولة العينات المأخوذة من البشر والحيوانات بغرض فحصها للكشف عن عدوى فيروس الإيبولا وينبغي معالجة تلك العينات في مختبرات مجهزة تجهيزاً مناسباً.[8]

4.3 انتقال المرض

ينتقل المرض بين البشر عن طريق الاتصال المباشر بالدم أو سوائل الجسم للشخص الذي تظهر عليه أعراض المرض. قد يتواجد الفيروس في اللعاب، السوائل المخاطية، البول، البراز، العرق، لبن الأم، والسائل المنوي. وترى منظمة الصحة العالمية (WHO)أن الأشخاص الذين يعانون بشدة من المرض فقط قد ينقلون الفيروس عن طريق اللعاب. ولم يتم إثبات انتقال الفيروس عن طريق العرق. حيث أن معظم حالات العدوى تحدث عن طريق انتقال الفيروس عن طريق الدم والبراز والقيء. تشمل نقاط أو مستقبلات دخول الفيروس الأنف، الفم، العينين، الخدوش، الجروح المفتوحة والكدمات. وقد ينتقل المرض أيضا عن طريق ملامسة الأسطح الملوثة بالفيروس مثل الإبر والحقن. إن الفيروس يستطيع النجاة خارج الجسم لبضع ساعات بينما يعيش داخل سوائل الجسم لمدة أيام.

قد يظل الفيروس موجودا في السائل المنوي لمدة 8 أسابيع حتى بعد الشفاء، مما قد يؤدي إلى انتقال الفيروس جنسيا. وقد يظهر أيضا في لبن الأم المرضع حتى بعد الشفاء وليس معروفا مدى سلامة إرضاعها بعد ذلك. كما تمثل جثث المصابين مصدر لانتقال المرض حيث يتم التخلص منها إما بطرق الدفن التقليدية أو بطرق متقدمة مثل التحنيط. يعتقد أن 69% من مصابي المرض في غينيا خلال عام 2014 راجع إلى عدم أخذ الحماية في التعامل مع الجثث المصابة خاصة مع طقوس الدفن الغينية، أن فريق الرعاية الطبية يعتبر معرضا أيضا للإصابة بالمرض. وتزيد نسبة الإصابة بالمرض خاصة عند عدم ارتداء

ملابس وقائية أو أقنعة أو قفازات أو نظارات وقائية. ويجب التنبيه أنه لابد من تجنب ارتداء الملابس الملوثة أو حملها بشكل غير صحيح، حيث يعتبر هذا العامل أحد أسباب انتشار الوباء في مدن في غرب إفريقيا مع قلة الخدمة الصحية الموجودة وقد لوحظ انتشار المرض في المستشفيات عن طريق الإبر تحت الجلدية هناك بعض المراكز الصحية لا تحتوي على مياه جارية. إن انتقال الفيروس بين البشر عن طريق الهواء لم يتم إثباته عند تفشي المرض.[9]

4. تجليات أدب الوباء في رواية "إيبولا 76" للروائي السوداني أمير تاج السر:

تعد رواية "إيبولا 76" للروائي السوداني أمير تاج السر من الأعمال الإبداعية الروائية التي تنضوي تحت لواء أدب الجوائح/الوباء، إذ نجده مزاوجا فيها الحقيقة بالخيال، معتمدا البساطة في العملية السردية،

إن وَقْعَ الوباء على البلاد التي يتفشى فيها شديد، تهتز له القلوب وتضطرب من أثره النفوس، فيتملّكها الرعب ويستولي عليها الخوف، لتتخبط بين حاضر أرخى الرعب عليه سدوله ومستقبل مجهول المصير.

حاول الروائي "أمير تاج السر" من خلال روايته "إيبولا 76" مرافقة ذلك الفيروس الذي يجوب الأماكن ويسخر من ساكنيها، متنقلا بين الأجساد، وعابرا للحدود، تجده على أهبة من الاستعداد حال سنحت له الفرصة من غير أن يفوتها، وذاك ما حدث له مع " لويس نوا " الرجل السوداني الذي زار الكونغو زمن تفشي الوباء دون أن يعي مدى الخطر المحدق به، «تتبع إيبولا القاتل، لويس نوا ظهر ذلك اليوم الحار من شهر أغسطس، عام 1976، وهو يتحرق شوقا ليسكن دمه.»[10]

تدور أحداث الرواية بين مناطق عديدة من جمهورية الكونغو كينشاسا، ومنطقة أنزارا الحدودية، في جنوب السودان عام 1976م، جاعلا من "لويس نوا" الشخصية المحورية الذي عاش طفولة بائسة في أوضاع يائسة، إذ ترعرع في حي من أحياء أنزارا، ليمضي طفولته في عشش الكرتون، أحقر حي سكني في المدينة، وأمه التي كانت تلقيه في المزابل حتى يأكل، وإخوته اللصوص.

رواية "إيبولا 76"وصف لما حل ببعض البلاد الإفريقية (الكونغو والسودان) من انتشار لوباء قاتل صامت، يجوب الأحياء والشوارع ليتصيد ضحاياه، وقد تسربل بالطابع السخري من أولئك الذين لا يولون أهمية للحياة، بل تجدهم ينقادون إليه طواعية بعد أن

غلف الجهل عقولهم، نظرا للظروف المعيشية الضنكة، وتردّي مستوياتهم التعليمية والثقافية، لتجدهم يقبعون في ظلمات الجهل والتخلف، فلا النشرات الصحية تقنعهم، ولا تحذيرات الهيئات تردعهم، ولا التنبيهات من الدولة تنوّرهم، ف "إيبولا القاتل" بالنسبة إليهم ذاك الساحر الذي يوزع الموت انتقاما من البشر، بعد أن يسكن أجسادهم ويسري في دمائهم بكل أريحية، حينها يساقون إلى الموت اتباعا، فمن شيّع ميته اليوم سيكون المشيَّع غدا، فالكل صار مشروع ضحية لإيبولا القاتل، «ويبكي عليهم أهل، هم أيضا في طريقهم إلى الزوال، قريبا على يديه، ولا يعلمون شيئا حتى الآن، يتفّهون من نشرات الأطباء الصحية، ومحاولات الدولة تنبيههم لخطر غير معروف الهوية جيدا، يلاحقهم، يعتبرون ما يجري في القرى من موت، يعقبه موت، يعقبه موت ثالث، ورابع، وألف، إجراءات انتقامية، يبعثرها ساحر شرير، ولم يكن ذلك الساحر موجودا إلا في مخيلاتهم الفقيرة.»[11]

ذاك ما عشعش في مخيلاتهم الفقيرة، فاعتقدوه كمسلّمة لا تقبل تفسيرا ولا برهانا، بل رضوخا لجهلهم وتسليما، ليعمّ المكان الحزن ويخيّم عليه النحيب، ورائحة الموت تعبق الأجواء، والمقابر تعجّ بالموتى، «كانت مسألة الساحر الشرير، هي الأقوى والأرفع شأناً، ومن ثمّ جندت كثير من القبائل، سحرتها المعتقين، زوّدتهم بخامات التعاويذ كلها، وأمرتهم بتعقب الشر في أي جحر من جحوره، ومنازلته حتى يسقط.»[12]

من المفارقات أن يسخر إيبولا القاتل، وتلك حكمة رادعة مغلفة بسخرية لاذعة، إذ أن الناس في غفلة من أمرهم والخطر يحدّق بهم، وذاك ما جعل الفيروس يتلذّذ بعقابهم، ويحوم في الأرجاء باسطا سيطرته، فلا التعاليم الصحية تنفعهم ولا الإرشادات الطبية تساعدهم على الوقاية من شرّه، والدّاعي إلى ذلك كله أن الناس بمختلف طبقاتهم يعيشون فوضى أخلاقية مما يفسح الطريق أمام هذا القاتل الساخر، «كان إيبولا الرهيب يضحك كأنه يسخر من السلاطين وأولياء عهودهم، ويودّ لو ينطق ليذكر الناس جميعا أنهم موتى لا محالة.»[13]

رغم كل التحذيرات من الفيروس الغامض إلا أن الناس وبحكم سذاجتهم اعتقدوه عملا أتى به ساحر ترهيبا لا غير، وذاك كان ديدنهم في مجالسهم ومجامعهم، «الذين تحدثوا معه في المقبرة أخبروه باقتناع تام عن الساحر الشرير الذي يوزع الموت في عدد من القرى والمدن، بلا أي هدف معروف، وتفاعل معهم، ليس لأنه أراد أن يتفاعل، ولكن لأن نشأته وبيئته، ومستواه العقلي، كانت مهيأة تماماً لمثل ذلك التفاعل، وبالرغم من أن السكان سمعوا عما يسمى الفيروس الغامض، وقرأ المتعلمون منهم نشرات وزارة الصحة،

المطبوعة بركاكة على ورق رخيص، واستمعوا إلى الراديو الذي اعتاد قطع أغنيات مجيدة وتراثية، مثل أغنيات دريدو لونوا، وسليمان أغو، وعلي فرتكاري، ومنليك الإثيوبي، وإذاعة أخبار القاتل الرهيب.»[14]

اعتقد "لويس نوا" بحكم بيئته وثقافته ما كان قد روّج إليه سكان الكونغو كنشاسا عن ذلك الساحر الشرير، «نوا من بيئة مشابهة، نفس الدماغ المعد سلفاً لتقبل الأبسط، نفس تعرق اليدين بلا حر ولا رطوبة، نفس مستوى هرمونات الجسد، وتأخر ظهور الشيب في الرأس، وأشياء أخرى، من صميم ويلات أفريقيا، لذلك، باستثناء حزنه على العشيقة الضائعة، لم يضف إلى قاموس مشاعره في تلك الظهيرة الحارة، سوى سخط مكتوم، على ساحر الشؤم الذي أمات حبيبته، وتركه ضائعاً.»[15]

إن الوباء إذا حلّ ببلاد أنهك فيها الأجساد وحصد منها الأرواح، لا حدود تجبره على التوقف، يغدو ويروح بين بني البشر، يترصدهم من كل جانب، وذاك حال وباء إيبولا الذي صال وجال في مناطق عديدة من جمهورية الكونغو كينشاسا، ومنطقة أنزارا الحدودية، في جنوب السودان عام 1976م، «في شهر أغسطس عام 1976، ضرب فيروس إيبولا القاتل، الذي يسبب الحمى النزيفية، مناطق عديدة من جمهورية الكونغو كينشاسا، ومنطقة أنزارا الحدودية، في جنوب السودان.»[16]

لقد وجد إيبولا القاتل ضالته المنشودة في "لويس نوا"، بعد أن ضاق ذرعا في المناطق التي غزاها من جمهورية الكونغو كينشاسا، إذ بدت معالم هويته تكشف بعد تكثيف الجهود الداخلية والخارجية على حد سواء في تحديد ماهيته بالدراسات المعمقة حول طبيعته وإيجاد لقاح يحدّ من صولاته وجولاته التي زرع خلالها الرعب أصنافا ووزع وقتها المعاناة أشكالا، دونما صدّ ولا ردّ، «لا يدري إيبولا القاتل، الذي يروع الناس منذ فترة في تلك البلاد، ما الذي لفت نظره في لويس نوا، ليضطرب كل ذلك الاضطراب، ليقرر الهجرة عبر دمه إلى بلاد أخرى، بعد أن كثر عليه النباح في بلده الأصلي، وجندت الدولة ثعابينها وعقاربها وكل ما تمتلكه من خير وشر لملاحقته، واكتشاف هويته، ووصلت عينات من دماء ضحاياه العديدين، إلى دول العالم المتقدمة مثل أمريكا وكندا، وأستراليا، والآن يدرسونها بعمق، تحت عدسات مرعبة، للعثور على لقاح ضده، أو دواء يعدمه إلى الأبد.»[17]

قرّر إيبولا القاتل توسيع دائرة وجوده من خلال سفرية إلى منطقة أنزارا الحدودية في جنوب السودان عن طريق عامل النسيج البسيط "لويس نوا" ذاك الغريب الزائر لبلاد الكونغو، والذي جاء بمحض إرادته بعدما علم بموت عشيقته الكونغولية بعد أن تملك

إيبولا القاتل جسدها وأرداه قتيلا، حالها في ذلك حال عديد ضحاياه الذين قضوا في صمت، إنه فيروس مخاتل يستمتع بغزو الأجساد، وبعدها الرقص على جثامينهم التي يقفز منها حال دفنها إلى ضحايا جدد، منتشيا بإنجازاته البطولية في إيقاع أكبر عدد منهم في شراكه التي نسجها في كل النواحي وبين كل الضواحي، «كان لويس من منطقة أنزارا الحدودية، في جنوب السودان، عامل نسيج بسيطا في مصنع صغير، لإنتاج الألبسة القطنية.

وقد جاء لويس إلى الكونغو في زيارة حزن مباغتة، حين علم مصادفة من أحد العائدين من كينشاسا، بموت امرأة دغدغت قلبه وشهوته في العامين الأخيرين، مستولية على كل ودّ كان يكنه لزوجته في السابق. لم يمكث في وسط العاصمة كينشاسا إلا بمقدار تلفته في حذر، وعبوره الطريق غير المرصوف، بين موقف حافلة الركاب الصغيرة التي أقلته من أنزارا، وموقف حافلة أخرى، أراد استقلالها إلى مقبرة في الأطراف، حيث يرقد المئات من ضحايا إيبولا، حصدهم في انطلاقته الكبرى المحيرة تلك. .»[18]

لقد تمكن إيبولا القاتل من جسد ألين أو إلينا كما كان يسميها "لويس نوا" وقضت بعد أن أنهك قواها، «تزوج منذ سبع سنوات، بامرأة اسمها تينا أزاقوري، من قبيلة أخرى غير قبيلته، تعيش معه في أنزارا وتعمل مع أمها في بيع الماء في الشوارع، وكانت عرضة لست عمليات اغتصاب ناجحة، واثنتين غير ناجحتين تماما، ولم يهجرها لويس عمليا بسبب تلك الانتهاكات، لكن هجرته العاطفية لها ابتدأت منذ عامين فقط، حين تعرف إلى هذه المرأة التي يبكي عليها الآن بكامل دموعه، «ألين أو إلينا كما كان يسميها، لا يهم، فقد تخلص منها إيبولا العنيف إلى الأبد، ولا يعرف لماذا تخلص منها ومن كل أولئك الذين يرقدون بجوارها ويبكي عليهم أهل.» [19]، وذاك ما حزّ في نفس "لويس نوا" وكان الدافع لاتخاذ قرار سفره لبلاد ما كان لعاقل أن يدخلها والوباء مستفحل في ربوعها، «وكان لحسن حظه غائبا، حين سكنها الفيروس القاتل، وتوغل فيها حتى نزفت دمها الأخير.» [20]، هذا ولسوء حظه أنه جهل أن العشيقة ماتت ولكن الفيروس باق في انتظاره يترقبه عند قبرها، «وحتى حين انحنى على قبر المرأة التي جاء من أجلها في تلك الرحلة الشاقة، وبكى بشدة، كان ينحني ويبكي على قبر امرأة، كان الفيروس في جسدها الميت، وقضى عليها منذ يومين فقط.»[21]

لم يكن إيبولا القاتل قد هدأ بعدُ رغم مخاوفه من كشف هويته عن طريق تلك المخابر الغربية التي تحاول جهدها وضع حدّ لانتشاره وقطع دابر شرّه، لذلك قرّر إيجاد مهرب إلى بلاد أخرى عن طريق دم بشري يسهل عليه الأمر، لذلك كان "لويس نوا" بالنسبة

له الملاذ الآمن للعبور، فكان مرافقا له حيثما حلّ لينقض عليه في الوقت الأنسب، كان يراقبه في صمت منتشرا بين ربوع المقبرة التي أحكم عليها السيطرة باتخاذه أجساد كلّ من المتسولة العجوز وحارس الأمن وبقية الزوار، بل الأموات حديثي الدفن التي لم يبرح الفيروس مفارقتهم أبراجَ مراقبة يترصّد من خلالها الزائر "لويس نوا" المرحب به «كان إيبولا حوله، وقريبا جدا منه، ويتحين الوقت المناسب لافتراسه. دخل المقبرة المسورة بالحجر الأبيض، والمحاطة بأشجار بعضها مورق وبعضها ذابل، والفيروس موجود، تحمله عشرات الأجساد التي صادفها هناك، كان في دم المتسولة العجوز الغائرة الخدين، التي مدت له يدها في صمت، ومنحها نصف فرنك وهو يدخل، في دم حارس الأمن المتسلط الذي يقف عند البوابة، متكئا على سلاحه القديم ونظراته تتحاوم بين الداخلين والخارجين، في دماء الزوار العديدين الذين ألقى عليهم نظرة هائمة أو لم يلق، وحتى حين انحنى على قبر المرأة التي جاء من أجلها في تلك الرحلة الشاقة، وبكى بشدة، كان ينحني ويبكي على قبر امرأة، كان الفيروس في جسدها الميت، وقضى عليها منذ يومين فقط.»[22]

ما إن همّ "لويس نوا" بالعودة حتى استعد إيبولا القاتل لغزو جسده، فالفرصة لا تعوض من أجل الانقضاض عليه، والسفر خارج الحدود عن طريق دمه، فأغلبية من أحاط به وقتها حين خروجه من المقبرة كان جسده مسكنا للفيروس القاتل، ودمه مرتعا له، يعربد فيهما كيفما شاء، ولكنه ربما ينجو بسبب الشال القطني الذي جعله على أنفه، ليفوت الفرصة على الفيروس إذ وقاه من رذاذ التنفس «الآن الرجل المرشح ليغزوه إيبولا، ويهاجر عبر دمه إلى دولة أخرى، يعربد فيها بنفس جنونه ... لا يعرف أحد إن أولئك الرجال المتباينو الأعمار والسحنات، الذين أحاطوا به بغتة، وتحدثوا إليه أكثر مما يجدب، وبأصوات هامسة، من معارفه، أم مجرد حزانى آخرين أرادوا أن يشاركوه فكرة ما، الشيء المعروف، أن معظمهم كانوا يحملون الفيروس في الدم، ولن يلبثوا أن يتساقطوا تباعا في وقت قريب.

كان أنف لويس نوا محجوبا عن الشم في تلك اللحظة، فقد أرخى شال القطن الذي يضعه على كتفه، وهو من منتجات المصنع الذي يعمل فيه، غطى به نصف الوجه حتى يختفي جزء من كآبة الفقد، ولم يكن يدري أنه يتقي بذلك، إصابة محتملة، استعد لها إيبولا المنتشر في رذاذ التنفس.

في طريقه من باب المقبرة، نحو الطريق العام، إلى حيث يمكنه العثور على عربة تقله إلى وسط المدينة ، اعترضه أحد الذين أخفق الفيروس في اقتناصهم على الإطلاق، عازف الغيتار الأعمى الشهير، روادي مونتي، الملقب بالإبرة في وسط معجبيه ومنتقديه معا.»[23]

خرج "لويس نوا" من المقبرة وأراد أن يستقل عربة بغية العودة إلى كينشاسا، ليستقل عربة كان الفيروس قد سبقه إليها، فأحد الركاب كان يسعل وذاك عَرَض مرضي لم يولي له بالا، إذ يعدّ مجرد إفلونزا عادية، «في طريقه إلى كينشاسا على ظهر سيارة مكشوفة، بها دابتان، توقفت له طواعية، وغازله سائقها الثلاثيني، بغمزة من عينه، وجد راكبين آخرين، رجلاً وامرأة، لم يسألهما ولم يسألاه، كان الرجل يسعل بشدة، وكان سعاله مجرد أنفلونزا عادية ومسالمة ليست في جرم إيبولا، وقد لاحظ أن المرأة التي كانت تجلس قبالته على دكة حديدية، مضافة للعربة، تتوجع بشدة، ويداها على بطنها المتكور، ولكن للأسف لم يستطع أن يستنتج أبداً أنها في الشهر الأخير من الحمل، وتداهمها آلام الولادة الآن، والذي يسعل هو زوجها، ويذهب بها إلى أقرب مستشفى في كينشاسا ...»[24]

ربما أفلت "لويس نوا" من إيبولا القاتل، ولكن هذا الأخير لا يزال يحوم حوله لعله ينال منه مأربه، فالضحية لا تزال قريبة رغم انتقالها إلى كينشاسا العاصمة ونزولها في شارع الساحر جمادي أحمد، «الآن ضحية إيبولا المفترضة في وسط كينشاسا العاصمة، بعد أن هبط من عربة نقل المواشي، ومشى على قدميه مسافة بشعة، قبل أن تتوقف له شاحنة قديمة جداً، يقودها كونغولي بعين واحدة. كان في شارع محترم جداً، ليس فيه شواذ ولا بائعات هوى متبرجات ولا شحاذون ملحاحون، ولا أي أحد من الذين تمنى إيبولا كثيراً أن يلعق أرواحهم واحداً واحداً. كان الشارع ملكاً للساحر القديم جمادي أحمد ليس ملكاً حقيقياً بالطبع، ولكن الوجود اليومي المتكرر للساحر ، وفي أي وقت ومنذ سنوات طويلة، أوحى لأحد عمال البلدية المنبهرين بأدائه الكلاسيكي، أن يزيل تلك اللافتة المعلقة، التي تحمل اسم شارع زومبي ويستبدلها بواحدة أخرى رديئة الخط عليها اسم الساحر جمادي أحمد.»[25]

رغم أن شارع الساحر جمادي أحمد لم يكن المكان المفضل بالنسبة لإيبولا القاتل، لكونه شارعا محترما جدا، إلا أنه منحه فرصة لدخول جسد "لويس نوا" والسريان في دمه، بسبب الفتاة "كانيني" بنت الثامنة عشر، والتي كانت ترافق الساحر في عروضه بعد أن فارقت الريف، وهي التي أتقنت إيقاع ضحاياها من السواح في شراك الرذيلة طمعا في أموالهم، وذاك ما نالته من "لويس نوا" مستغلة غياب الساحر، «في تلك اللحظات المترقبة

العنيفة، وبغياب الساحر جمادي استطاعت كانيني، الفتاة التي ولدت في إسطبل خيل في الضواحي، من أب غير معروف وعاشت منتهكة من ساسة الخيل وملاك الأحصنة ومراهقي المزارع المجاورة حتى بلغت الثامنة عشرة أن تتخلص من انفعالها في البحث عن الحيلة الغائبة .تجولت بعينيها في الحاضرين الذين كانوا قرابة خمسين مندهشاً، وميزت نوا، بوصفه الأكثر بعداً عن الدهشة والذي أعانها بشدة على تحويل جزء من وقت شارع زومبي إلى وقت ،آثم، حين أجبر ساحراً متمترساً منذ زمن طويل، على مغادرة المكان. قرأت عبارة الصندوق بمشقة، لأنها تعلمت نزق الجسد أكثر من تعلمها أي لغة أو رطانة وكان قاموسها اليومي شفاهياً بحتاً، قاموس الحديث ،العادي، إضافة للجزء الآثم من الحوار الذي يساعدها في الرزق، وقد تركت الريف منذ عام، وتتجول في كينشاسا بحثاً عن السياح ، ترافقهم إلى أي غاية يريدونها، غالية حيناً، ورخيصة رخص التراب في معظم الأحوال .لم يعجبها لويس نوا كرجل يستوجب الإعجاب بوجهه وجسده واحتمال وجود ثروة مخبأة في جيبه، لكنه كان الغريب الوحيد المتاح حالياً، والغرباء مهما تكشرت مجاذيفهم، وخلت جيوبهم من المال لا بد يملكون شيئاً ادخروه للسفر والعودة والإقامة في البلد الذي يزورونه تلك اللحظات.»[26]

لقد تمكّن إيبولا القاتل من "كانيني" وسكن دمها قبل الموقعة المرتقبة هذه بيوم واحد فقط، إنها الفرصة التي طالما انتظرها القاتل الصامت، لتراه مترنحا حين همّ "لويس نوا" بالفتاة وهمّت به، وخرجا من الشارع، فقد رافقهما مبتسما، «في تلك اللحظان، وهو يرى الفتاة تلتصق بإغراء، بظهر الضحية المرتقبة، ابتسم إيبولا المحلق في المكان، وهو يراها تقرّب وجهها من الوجه المفصد بتلك الدوائر المقيتة، ضحك، وكاد يطلق قهقهة عالية، حين رأى الغريب يغادر برفقة الفتاة التي سكن دمها البارحة فقط، تابعهما حتى خرجا من شارع جمادي، وترنّحا في حارات قذرة، وأزقة شبه مهجورة، ودخلا بيتاً من طابق سفلي، يعج بالصراخ والضحكات غير البريئة ويخرج منه بين حين وآخر، سكارى بالكاد يقفون على أقدامهم. انتهى الأمر إذا، وأصبح لويس نوا، ساكن أنزارا الذي يزور الكونغو في رحلة حزن، ذلك الجسر الذي سيعبر عليه إيبولا إلى بلاد أخرى.»[27]

أخيرا نال إيبولا ما كان يصبو إليه وبلغ مأربه أن سكن دم "لويس نوا" عن طريق بائعة الهوى "كانيني" قبيل مغادرته كينشاسا إلى موطنه أنزارا ، لتبدأ الرحلة الوبائية، وتتوسع دائرة الإصابات.

إن الأمر الذي نغص على إيبولا القاتل فرحته وأقلقه رغم سكنه دم "لويس نوا"، ذلك الجسد الذي يفترض أن يكون مطية للعبور إلى البلاد الأخرى، هو الخوف من أن تلقى الضحية حتفها قبل المغادرة، وتؤجل فرصة الهجرة، «تحت ظل المتعة الشوارعية الجديدة، في البيت الطافح بالفجور والضحكات غير البريئة، وتحت رحمة شيطانين، أحدهما كانيني التي تميته متعة، وإيبولا الذي يسكن دمه فقط، لكنه تناسل إلى ملايين النسخ التي بدأت تعمل بجدارة، وإن كان ثمة قلق، أن لا يعود الغريب إلى دياره، وينزف أحشاءه حيث يفجر، وتتجمد قضية الهجرة لدى القاتل الرهيب، ريثما يحصل على ضحية جديدة.»[28]

حال عودة "لويس نوا" إلى بلاده وإيبولا القاتل يسكن دمه، التقى بصديقه الكيني أنامي أوقيانو، ليكون الضحية التي لم تفلتها شراك إيبولا القاتل بعد المصافحة ورذاذ نفس "لويس نوا" بعدما عطس في وجهه، «لم يذهب نوا إلى بيته مباشرة، كان الليل قد استلقى داكنا على ظهر المدينة ... في السوق الذي أصبح شبه مقفر، التقى نوا بصاحبه الكيني أنامي أوقيانو، كان حيويا كالعادة، لكنه بدا منزعجا من غياب نوا غير المبرر، وأسمعه جملة حادة، من تلك التي يرددها أصحاب العمل في حق عامل غير منضبط، قال له: تعوّد عليها من الآن، حتى إذا ما سمعتها غدا صباحا من جيمس رياك في المصنع، اعتبرها مستهلكة، ولا تصدم. ثم صافحه وذهب. الشيء الذي لا يعرفه العاملان الصديقان، أن إيبولا الرهيب كان يقهقه في تلك اللحظة، لأن وجهيهما كانا قريبين من بعضهما، وأن نوا عطس بعمق في تلك اللحظة، ففرت ملايين النسخ من القاتل إلى جسد الكيني أوقيانو.»[29]

بعدها التقى "لويس نوا" بزوجته "تينا أزاقوري" وكله شوق لإقامة العلاقة الحميمية التي طالما تناساها، إذ عزف عنها بسبب علاقاته المشبوهة مع عشيقاته، «كلا لم يكن مصادفة أبداً، أن تحدث تلك العلاقة الحميمة بين لويس نوا، وزوجته تينا أزاقوري، بعد عودته من كينشاسا مباشرة وبعد أكثر من عامين من الهجر العاطفي المتقن، من الطرفين. تينا نفسها أرادت تلك العلاقة واستعدت لها بقوة وأرادها لويس نوا، الذي لم يتنفض بعد من طعم كانيني، وليالي البيت الكونغولي المستعر، ولا من فائض الهرمونات التي ضج بها جسده، وقرر في لحظة ارتباك كبيرة ومهينة أن يسعى لاسترضاء تينا بأي شكل، ويعلم يقيناً أنها لا تنتظر عودته، كما تنتظر النساء عودة أزواجهن المسافرين.»[30]

انتقل إيبولا القاتل من دم "لويس نوا" إلى دم زوجته "تينا" التي رضخت لنوته تلك بغية إنجاب طفل وليس حبا فيه، إذ كانت تعلم علم اليقين بأنه خائن خسيس، ولكن أملها

في الإنجاب وبعث الحياة في البيت الزوجية من جديد، كان عكس المأمول، وضد المبتغى، فالوباء تراقص على أعتاب ذاك الحلم، وصار مقيما بداخلها،ينهش جسدها الذي اتخذ منه مسكنا يستجمع فيه قواه لينطلق منه نحو ضحاياه المرتقبين في البلاد الجديدة التي شدّ إليها الرحال، لتكون موطنا يرتع فيه كيف يشاء على حين غفلة من أهله.

كانت أعراض إيبولا القاتل تظهر على "لويس نوا" وهو الذي لم يعرها اهتماما ولم يولها بالا، بل كان يسخر من حلم زوجته بالإنجاب في حين أن القاتل الصامت كان يضحك منه ومن زوجته، بعد أن أحكم قبضته عليهما معا، «كان نوا يحس بإعياء طفيف، ثمة صداع بالرأس والعينين ثمة رعشة خفيفة، ورشح بالأنف، وألم في الركبتين، ولاحظ وجود بقع حمراء على إحدى يديه، وتأكد له أن كل ذلك، مضاعفات المتعة التي ظل يتداولها عدة أيام، بين جسد كانيني الجائع المحترف، وجسد تينا الذي ارتد صبياً بعد أكثر من عامين من الخمول كان مستغرباً بحق، ويفكر في شيطنة النساء، وفي كيفية استعادته لحياته الأسرية بلا أي مجهود يذكر، ولم يكن يظن أنه سيستعيدها أبداً، حتى عقد الخرز الأحمر الذي اشتراه لم تكن ثمة ضرورة لشرائه، وقد نهته تينا في آخر الليل إلى ثقل وزنه، وأنه قد زاد بصورة مجرمة، لم تنتبه إليها قبلاً، لكنها برغم ذلك، كانت منتعشة وتحترم عودته جداً لدرجة أنها تفكر أن تنجب طفلاً، يضيف جديداً إلى ركود البيت، تنجب طفلاً؟ من ضحك نوا في سره وضحك إيبولا الذي عبر سلساً إلى جسد الزوجة المجهز للغزو بمئة حيلة نسائية عدة أيام فقط وينتهي كل شيء، وإلى أن تكتشف سلطات هذه المنطقة المحرومة من سرعة البديهة بحكم بعدها وبدائيتها وتسلط عادات الجهل على مجتمعها يكون القاتل الرهيب قد قضى على ثلث السكان، بلا أي مقاومة تذكر، يفكر نوا في مسألة الطفل التي لم تحدث أثناء سنوات الخصب الأولى، ويفكر إيبولا، أنها لن تحدث أبداً، حتى لو كان ثمة خصب موجود في عروق الرجل أو مبيضي المرأة.»[31]

هكذا يتمكن إيبولا من "تينا" ويجعلها رقما جديدا يعدّه من ضحاياه الذين ماتوا بسببه، «وفي الوقت الذي حملت فيه تينا أزاقوري وعيناها ما تزالان مفتوحتين، ولسانها يابسا خارج حلقها، لتدفن في المقبرة الجماعية التي أعدتها السلطات المحلية لدفن ضحايا القاتل، بجميع أعراقهم وعقائدهم، بلا غسيل ولا أكفان، ولا إضاعة للوقت.»[32]

بعدما عاد "لويس نوا" إلى مصنع النسيج، وبعد حديثه مع صاحب العمل، أحس بالعياء الشديد، إنها أمارة من أمارات إيبولا القاتل، «من المحتمل جدا، أن الساحر الكونغولي الشرير ، الذي كان يوزع الموت في كينشاسا وما حولها من القرى والأرياف، قد

اقتنصه، وتتبعه إلى أنزارا، وما هي إلا ساعات قليلة ويموت لاحقا بإيلينا، رفيقة العامين الأخيرين الدافئين، ومئات غيرها، شاهد قبورهم لينة حين بكى على صاحبته، وغرس الزهور البنفسجية ذات الرأس الأسود.»[33]

تبدأ أعراض إيبولا تظهر اتباعا عل "لويس نوا" بحمى مفاجئة، وتعب شديد، وآلام في العضلات، صداع، والتهاب الحلق. مع تطور المرض، قد يظهر النزيف الداخلي والخارجي (مثل النزيف من الأنف والفم)، بالإضافة إلى القيء والإسهال الشديد، «كانت الحمى في أعلى درجاتها، رغبة القيء لم تكن رغبة، لكنها قيء حقيقي، فيه مرارة ودم، النزف عل أماكن متعددة في يديه وقدميه، لا يحتاج إلى تدقيق لرؤيته، ألم الركبتين، شلّ القدرة على المشي، وبين حين وآخر، تأتي رعد كبيرة، أو يغيب العقل عن الحضور.»[34]

لم ينتهي عدّاد الموت، بل طال عديد ضحايا القاتل الرهيب، «مات الكيني أنامي أوقيانو، ماتت بائعة الخمر التي اختلست القبلة من نوا ساعة قدومه من كينشاسا، مات عامل من عمال مصنع رياك.»[35]

لم يعد هناك وسائل يمكنها أن تردع إيبولا، لقد تمكّن من بسط سيطرته، وصار يعاقب كل من يحاول مواجهته خاصة الذين يعملون في المستشفيات، والطبيب نصر الدين أكوي من أولئك الذين قضوا وهو هم يمارسون مهنتهم النبيلة ليكون أحد ضحاياه، «في الساحة الكبيرة ساحة إيبولا، حيث العمل ما يزال مستمرا، أعلن الطبيب الوثني لوثر الذي لم يصب حتى الآن برغم وجوده في المستنقع، أنه لم تعد هناك محاليل للتروية، ولا مسكنات للصداع والحمى، ولا شاش ولا قطن لإيقاف نزف الجلد، ولم يعد هناك من يمنح دما، وحتى لو وجد، فإن المحاليل التي تكشف نوع الفصيلة، وإمكان أن يكون الدم ملوثا أو نظيفا، لم تعد موجودة، أعلن في صوت هادئ ورصين أن زميلة نصر الدين أكوي توفي صباح هذا اليوم، بعد أن أدى واجبه كاملا في مكافحة الوباء.»[36]

لقد عجز الجميع عن مواجهة هذا الدخيل الذي كدّر صفو عيشهم، وزرع بينهم الرعب، ولم يسلم منه أحد، إلا من قدّر له أن ينجو، وإلا فالجثث مكدّسة، والمقابر صارت حفرا كبيرة، «الخال ماجوك بكى من خلف قناعه الواقي، وابتلّ القناع كله، لا بسبب رداءة الصناعة التي أتقنها رياك برغم العجلة، ولكن من كثرة الدموع، حمل الأخت على ظهره، ورماها بجانب ابنتها في تلك الحفرة الجماعية.»[37]

ينتشر الوباء في كل مكان كالنار في الهشيم، ويعمّ الخوف في كل الأرجاء، فتضطرب النفوس وتهلع القلوب، لتجدها تبوح بالأسرار وتحدث بأحاديثها المدفونة بفعل صحوة

الموت، لتتجلى صور متباينة بين الناس، فمنهم الخائف المستسلم، وآخر جشع يتاجر بمصائب الغير، وثالث مستبد له في الوباء مآرب أخرى، والكلّ يراقبهم إيبولا القاتل ويحصد منهم الأرواح، «كان كل شيء في المدينة يزحف ليكون ملك إيبولا، ووحده القاتل الرهيب ما سيقرر.»[38]

ربما ينتهي إيبولا القاتل، ولكن الأوبئة ملازمة للإنسان، تظهر وتختفي، والإنسان مطالب بالحيطة والحذر، واتخاذ أسباب الوقاية، والتعامل معها وفق متطلبات الراهن، «القصة لم تنته بعد، والاحتمالات كثيرة ومعقدة، من المحتمل جدا، أن يكون إيبولا قد شبع، أو هزته صحوة ضمير مباغتة، فيعفو عن الجميع، يتيح لهم صحوات موت فضائحية كاذبة، ويعيدهم إلى الحياة الفقيرة الوعرة من جديد، والتي كانوا يألفونها ويحبونها رغم ذلك، قبل أن يأتي مهاجرا داخل الدم الفاجر لعامل النسيج لويس نوا، وأن يرحل شهر أغسطس ببؤسه، ورذالته، ويهل ديسمبر نظيف، برغم الحرّ والرطوبة.»[39]

5. خاتمة:

أدب الأوبئة هو نوع أدبي يعكس التجارب الإنسانية والمعاناة التي تنشأ نتيجة انتشار الأوبئة والأمراض المعدية. في هذا النوع الأدبي، يتم التركيز على تأثير المرض على الأفراد والمجتمعات، بالإضافة إلى القضايا النفسية والاجتماعية التي تطرأ خلال فترات الأوبئة.

تعد رواية "إيبولا 76" للروائي السوداني أمير تاج السر من الأعمال الإبداعية الروائية التي تنضوي تحت لواء أدب الجوائح/الوباء، إذ نجده مزاوجا فيها الحقيقة بالخيال، معتمدا البساطة في العملية السردية، تدور أحداثها بين مناطق عديدة من جمهورية الكونغو كينشاسا، ومنطقة أنزارا الحدودية، في جنوب السودان عام 1976م، جاعلا من "لويس نوا" وإيبولا القاتل شخصيتين تتلازمان في سفرية عنوانها الموت المحذق بكل من يتمكن منه الفيروس ويصطاده، ليعمّ وقتها الخوف والقلق وتشتدّ المعاناة، بعد أن جاب الفيروس الأماكن وسخر من ساكنيها، متنقلا بين الأجساد، وعابرا للحدود، فرائحة الموت تعبق في الأجواء، والجثث في كل مكان تنتظر الدفن بلا تغسيل في حفر كبيرة بشكل جماعي.

[1] علا شحود، بين الحقيقة والرَمْز.. كيف يحضر الوباء في الأدب؟، الميادين نت ،2أيلول 2020 09:58.
https://www.almayadeen.net/investigation/1420165

[2] إلياس خوري، الأدب في زمن الوباء، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 123 ، صيف 2020
https://www.palestine-studies.org/ar/node/1650241

[3] علا شحود، بين الحقيقة والرَمْز.. كيف يحضر الوباء في الأدب؟، الميادين نت ،2أيلول 2020 09:58.
https://www.almayadeen.net/investigation/1420165

[4] إلياس خوري، الأدب في زمن الوباء، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 123 ، صيف 2020
https://www.palestine-studies.org/ar/node/1650241

[5] https://www.who.int/ar/health-topics/ebola#tab=tab_1

[6] https://www.who.int/ar/health-topics/ebola#tab=tab_2

[7] https://www.who.int/ar/health-topics/ebola#tab=tab_3

[8] https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/ebola-virus-disease

[9] https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B1%D8%B6_%D9%81%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%B3_%D8%A5%D9%8A%D8%A8%D9%88%D9%84%D8%A7#

[10] أمير تاج السر، "إيبولا 76" (رواية)، دار الساقي، بيروت، ط1، 2014م، ص9.

[11] الرواية، ص11.

[12] الرواية، ص8.

[13] الرواية، ص28.

[14] الرواية، ص8.

[15] الرواية، ص9.

[16] الرواية، ص3.

[17] الرواية، ص4 وما بعدها.

[18] الرواية، ص4.

[19] الرواية، ص5.

[20] الرواية، ص5 وما بعدها.

[21] الرواية، ص4.

[22] الرواية، ص4.

[23] الرواية، ص6.

[24] الرواية، ص8 وما بعدها.

[25] الرواية، ص8 وما بعدها.

[26] الرواية، ص8.

[27] الرواية، ص23.

[28] الرواية، ص27.

[29] الرواية، ص21.

[30] الرواية، ص8 وما بعدها.

[31] الرواية، ص22.

[32] الرواية، ص47.

[33] الرواية، ص25.

[34] الرواية، ص25.

[35] الرواية، ص76.

[36] الرواية، ص69.

[37] الرواية، ص47.

[38] الرواية، ص31 وما بعدها.

[39] الرواية، ص141.

قائمة المصادروالمراجع:

* أمير تاج السر، **"إيبولا 76"** (رواية)، دار الساقي، بيروت، ط1، 2014م.

* إلياس خوري، **الأدب في زمن الوباء**، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 123 ، صيف 2020

https://www.palestine-studies.org/ar/node/1650241

* علا شحود، **بين الحقيقة والرَمْز.. كيف يحضر الوباء في الأدب؟**، الميادين نت ،2أيلول 2020 09:58.

https://www.almayadeen.net/investigation/1420165

* الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية

https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/ebola-virus-disease

https://www.who.int/ar/health-topics/ebola#tab=tab_1

https://www.who.int/ar/health-topics/ebola#tab=tab_2

https://www.who.int/ar/health-topics/ebola#tab=tab_3

* موقع ويكيبيديا

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B1%D8%B6_%D9%81%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%B3_%D8%A5%D9%8A%D8%A8%D9%88%D9%84%D8%A7#